

عشرات آلاف النازحين من غزة إلى مصر مأساة طبي النسيان



الأربعاء 9 أكتوبر 2024 08:07 م

نشرت مجلة "نيوستيتسمان" تقريراً، سلطت فيه الضوء على معاناة الفلسطينيين النازحين في مصر بعد الحرب الإسرائيلية على غزة؛ فقد وصل أكثر من 100 ألف لاجئ إلى القاهرة منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023، ويواجهون ظروفًا صعبة، ويعانون من انعدام الاستقرار

ونقلت المجلة، في تقريرها، بعض القصص والروايات الأليمة عن فلسطينيين اضطروا إلى مغادرة قطاع غزة خلال الفترة الماضية بسبب الحرب، لكنهم يواجهون واقعا أليما في مصر، ولا يلوح أمامهم أمل حقيقي للعودة أو الاستقرار

"لا يأس مع الحياة"

غادر مخيم أبو سعدة، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر في غزة، في تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، بعد أن دمرت القوات الإسرائيلية جامعته ثم نهبتها كما تضرر منزله في غارة إسرائيلية، وأمضى بعدها ثلاثة أيام مع عائلته يعيشون في الشارع

كان أبو سعدة يعيش حياة مريحة في مدينة غزة، ويتمتع بمكانة جيدة في المجتمع بسبب المنصب الأكاديمي، ويقول أبو سعدة: "كان لدي خياران: إما أن أعيش أو أموت لقد أردت أن أعيش".

واستطاع المغادرة بسهولة نسبياً، لأن أطفاله الأكبر سناً يحملون الجنسية الأمريكية، وتعيش الأسرة كلها في القاهرة حالياً، لكن أبو سعدة يجب أن يعيد بناء حياته من الصفر، وهو مصير مشترك بين الفلسطينيين في مصر؛ حيث لا توجد خطط للعودة إلى غزة في أي وقت قريب

عندما وصلوا إلى القاهرة، كانت ابنته الصغرى سارة تستعد لامتحان التوجيهي، امتحانات القبول بالجامعات في غزة والضفة الغربية، إلا أن والدها أخبرها أنها يجب أن تنسى التوجيهي لمدة سنة لكن سارة لم تستسلم وعلقت فوق سريرها ورقة كتب عليها: "لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس".

وتمكنت السفارة الفلسطينية في القاهرة، بالتعاون مع وزارة التعليم في رام الله في الضفة الغربية والسلطات المصرية، من تنظيم امتحانات التوجيهي في القاهرة، واجتازت سارة الامتحان وتم قبولها في كلية الحقوق في الجامعة البريطانية في مصر

يقول أبو سعدة إن الصراع بين فلسطين وإسرائيل "استمر لمدة 76 سنة، تعرض خلاله الفلسطينيون للاحتلال والعدوان وهدم المنازل والاعتقال الجماعي، وما إلى ذلك". وأضاف: "كنت في غزة في ذلك اليوم، في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر وكان الفلسطينيون في غاية السعادة لأنهم شعروا للحظة أنهم يجعلون الإسرائيليين يشربون من نفس الكأس التي شربناها طيلة السنوات الماضية".

أعداد النازحين من غزة

وفقاً لتقديرات السلطات الفلسطينية والمصرية، بلغ عدد الفلسطينيين الذين غادروا غزة إلى مصر منذ تشرين الأول/ أكتوبر إلى 150 ألفاً، ولكن هناك عدد من الفلسطينيين الذين غادروا غزة ولم يسجلوا أسمائهم في السفارة الفلسطينية، لذا فإن العدد قد يكون أعلى من الأعداد الرسمية، وفقاً للمجلة

وأفاد أحد المسؤولين عن الجالية الفلسطينية في القاهرة أن عدد النازحين عقب الحرب كان يمكن أن يبلغ 300 ألف فلسطيني لو لم تغلق إسرائيل معبر رفح في مايو ولو كان بعض هؤلاء النازحين يحملون جوازات سفر لدولة ثالثة، لكنوا قد انتقلوا إلى أماكن أخرى منذ ذلك الحين ومع ذلك، تشير التقديرات إلى أن أكثر من 100 ألف فلسطيني ما زالوا في مصر، وكلهم تقريباً في منطقة القاهرة الكبرى

وأرجعت المجلة تضارب الأعداد إلى عزوف كثيرين عن تسجيل أسمائهم بسبب الرسوم العالية للغاية التي يضطر النازحون لدفعها لشركات مصرية قريبة من المؤسسة الأمنية، وهي تقترب من عشرة آلاف دولار أميركي للشخص الواحد، الأمر الذي يرفع إجمالي العائدات منذ تشرين الأول/ أكتوبر إلى ما يزيد كثيراً على مليار دولار أميركي

وتضيف المجلة أن أجهزة الأمن المصرية تراقب عن كثب الفلسطينيين الذين نزحوا مؤخراً، لذلك يخشى الفلسطينيون الوقوع

صور من المعاناة

من صور معاناة الفلسطينيين النازحين إلى مصر -حسب المجلة-، أنه لا توجد دولة يمكن أن تستقبلهم إذا تم ترحيلهم، حيث لن تسمح إسرائيل لهم بالعودة إلى غزة أو الضفة الغربية، لذلك يعيش هؤلاء كمهمشين في القاهرة، حيث يُمنعون تقريباً من العمل أو الدراسة، ولا يحصلون على تصاريح إقامة، ويُجبرون على الاعتماد على التبرعات لأن مدخراتهم الضئيلة نفدت سريعاً

ويقول أحد الفلسطينيين، وقد غادر غزة قبل سنوات وقضى ثلاثة أشهر في القاهرة، إن "الجانب المظلم هو أنه إذا كنت جالساً بلا عمل، فلا يوجد ما يمكنك فعله سوى مشاهدة التلفزيون طوال اليوم، ومتابعة الرعب الذي لا يتوقف، في انتظار وقف إطلاق النار الذي لا يأتي أبداً".

وأشارت المجلة إلى أن المدارس الثانوية الحكومية في مصر لا تسمح للطلاب الفلسطينيين بالتسجيل في الفصول الدراسية، لذلك اضطر الطلاب الجدد إلى الالتحاق بفصول الضفة الغربية عبر الإنترنت أو في بعض الحالات تنظيم فصول خاصة في القاهرة، والتي يشرف عليها

مدرسون متطوعون جاؤوا أيضاً من غزة

وحتى أولئك الذين كانوا ميسوري الحال في غزة غالبًا ما يصلون إلى القاهرة دون الكثير من المال، وربما تكون ممتلكاتهم ومدخراتهم قد مُقدت في الحرب، أو أنهم اضطروا إلى دفع رسوم الخروج، وهناك أيضًا الحاجة الملحة لإعانة ذويهم الذين بقوا في القطاع

وتوضح المجلة أن معظم الفلسطينيين النازحين من غزة إلى مصر يعيشون في المناطق الفقيرة في القاهرة مثل شارع فيصل أو إمبابة، بينما تعيش قلة محظوظة - أولئك الذين تمكنوا من جلب ثروات صغيرة معهم - في مجمعات سكنية راقية خارج القاهرة

وأفاد عمر شعبان، مؤسس ومدير مؤسسة بال ثينك للدراسات الاستراتيجية غير الربحية، والذي غادر غزة إلى القاهرة بعد تشرين الأول/أكتوبر، أن الفلسطينيين في القاهرة يمثلون بنية غزة الاجتماعية بأكملها؛ فهناك أكثر من 250 صحفي، وحوالي 400 شخص يعملون في القطاع المصرفي، والعديد منهم يعملون كمطوري برمجيات وتمكنوا من مواصلة العمل على الإنترنت، وحوالي 500 شخص يعملون مع المنظمات الدولية، وعشرات الآلاف من المعلمين، وما لا يقل عن 20 ألف تلميذ من سن السادسة إلى الثامنة عشرة، و1500 طالب فلسطيني حالفهم الحظ في إتمام الثانوية

وأكد شعبان أن الشعور بالانتماء قوي لدى الفلسطينيين، وأن أغلب أبناء الجالية ملتزمون ببدء العودة؛ حيث يوجد أكثر من 2,000 فلسطيني عالقون في العريش بالقرب من رفح، في انتظار السماح لهم بالعودة إلى غزة

مأساة عائلية

ويسرد توفيق رزق، الشاب الذي يتشارك هو وعمه وشقيقته شقة في مدينة نصر، قصة مغادرته غزة بحثًا عن مساعدة طبية لشقيقته المصابة، تاركًا زوجته خلفه

ينتمي رزق إلى عائلة كبيرة مكونة من عشر شقيقات وأربعة أشقاء، ويبلغ من العمر 27 سنة، وهو الأخ الأكبر كانت العائلة تعيش في رفح، على مقربة من المعبر المصري، وكان والده يملك مصنعًا للطوب عمل رزق مع والده في مصنع العائلة، وتزوج سنة 2021، لكنه واجه هو وزوجته صعوبة في الإنجاب، وفي نهاية المطاف، حملت زوجته من خلال التلقيح الاصطناعي، ولكن بعد شهرين من الحمل، في تشرين الثاني/نوفمبر 2023، قصفت إسرائيل مبنى بالقرب من منزلهما وأصبحت زوجته بصدمة وأجهضت

واجهت عائلة رزق مأساة أخرى في 3 كانون الأول/ديسمبر، حيث قصفت القوات الإسرائيلية في ذلك اليوم مصنع الطوب ومنزل العائلة

وحسب المجلة، فمن السهل العثور على دلائل قاطعة على أن رزق وعائلته لا تربطهم أي صلات بحماس، ولو كان هناك أي شكوك حول وجود مثل هذه الصلات لما شُح له بمغادرة غزة

عندما غادر رزق غزة في كانون الثاني/يناير كان يتوقع أن يعود قريبًا ليلتحق بزوجته ووالدته، ولم يعتقد أحد أن معبر رفح سيُغلق، لكن العلاج استمر فترة أطول من المتوقع ثم أغلقت إسرائيل المعبر في أيار/مايو، وتعيش زوجة رزق الآن في مخيم المواصي في رفح، والذي يتعرض لقصف صاروخي بشكل منتظم

يقول رزق إنه لو كان قادرًا على إحضار عائلته بأكملها إلى مصر فلن يعود إلى غزة أبدًا، معتبرا أنه لا يوجد مستقبل هناك، فقد تحطمت حياته ولم يعد من الممكن إعادة بنائها

أما شقيقته الشابة آية، التي تبلغ من العمر تسع سنوات فقط، فهي تفتقد غزة وتفتقد والدتها لا تزال آية تتعافى من إصابتها، وتقضي معظم يومها في البحث عن أخبار غزة على التلفاز وعبر الهاتف، وهي تفتقد مدرستها، وتحلم بالعودة يومًا ما، لكنها لا تدرك حقيقة الوضع الذي أصبح عليه القطاع